الفصل الرابع

الحرب النفسية والدعوة الإسلامية

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر .

أولاً – أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم.

- الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية.

(١) دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.

(٢) السيطرة على الإعلام.

(٣) تغيير الوعي الثقافي والسياسي.

أ) التغيير التعليمي والثقافي.

ب) التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة.

(٤) العولمة والهيمنة على العالم.

(٥) استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب.

(٦) دعم التوجيهات الحداثية والعلمانية.

(٧) إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

أ- إظهار الحركات الهدامة وتلميعها.

ب- حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف.

ج- التمويه والتمييع للحقيقة.

د- الطمس والتعتيم.

المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام.

المبحث الأول

الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر

أولاً – أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم

– من هم أعداء الدعوة الإسلامية؟

سؤال نطرحه ، لنتعرف على هؤلاء الأعداء الذين يشنون الحرب النفسية الحاقدة على الدعوة الإسلامية وحملتها من العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين.. وذلك لتعريتهم من الثياب البراقة التي يلبسونها.. ويُخدع بها المغفلون من أبناء الإسلام .. وحتى يميز المسلم بين عدوه وصديقه.. ولا يُخدَع إذا لبس العدو ثياب الصديق ونطق بلسان الصديق..

وأعداء الإسلام اليوم كلهم، يلبسون ثياب النفاق، والرياء، وإن صورة المنافقين في الصدر الأول تتكرر مرة أخرى في الوقت الحاضر.. على مستوى الدول ومن خلال وسائل الإعلام المتعددة.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾ [المنافقون ٤] .

ولعدم وضوح صورة الأعداء للمسلمين، لتلوّن هؤلاء الأعداء بألوان شتى، لابد من مصدر حق، يوضح صورتهم، ويبينهم على حقيقتهم.. وهذا المصدر الحق هو كتابُ الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والله عز وجل هو وحده العليم بأعدائه وأعداء المسلمين.. ويقرر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء ٤٤-٤٥] .

ويبين الله عز وجل أعداء الإسلام والمسلمين بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة ٨٢] . وإن أعداء الدعوة الإسلامية لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها، كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونشر الشبهات، وتدبير المؤامرات... وهكذا كانوا في العصر الأول .. وهكذا هم في كل زمان ومكان، لم تنقطع هذه العداوة والحرب بالسلاح وبغير السلاح، مروراً بالحروب الصليبية، ومروراً بتشويه الإسلام وتزييفه على يد المستشرقين والمبشرين.. حتى الوقت الحاضر، فإنهم لم يلقوا السلاح، ولم يضعوا السيف في غمده.

وأعداء الإسلام لم يرفعوا راية العقيدة في حربهم للعقيدة الإسلامية في الوقت الحاضر .. إنما يرفعون أعلاماً شتى في خبث ومكر، لأنهم جَرَّبوا حماسة المسلمين لدينهم حين يواجهونهم تحت راية العقيدة، ومن ثم استدار الأعداء فغيروا أعلام المعركة، لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة ، خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها، إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة ومناطق النفوذ، وما إليها.. وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت قديمة لا معنى لها، ولا يجوز رفع رايتها، فهذه في رأيهم، سمة المتخلفين المتعصبين، ذلك كي يأمنوا جَيَشَان العقيدة وحماستها، بينما هم في قرارة نفوسهم، يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العالية – صخرة الإسلام العظيم – التي نطحوها طويلاً فأدمتهم جميعاً[1].

---

(١) ارجع إلى الظلال – تفسير سورة المائدة آية ٨٢ – والبقرة آية ١٢٠.

وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقبة الجديدة، والحرب النفسية اليوم، والتي يشنها هؤلاء الأعداء على الإسلام والمسلمين، تَستخدم أرقى ما وصلت إليه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال هذه الوسائل تشهر الحرب النفسية أسلحتها، من دعاية وشائعة، وتحريف للأفكار، وتزييف للحقائق، وتشويه للأشخاص والجماعات. بالإضافة إلى الأسلحة الأخرى، التي توحي بها الحكومات الاستعمارية إلى تلامذتها وصنائعها، الذين جعلوا منهم أعداء لدينهم وأبناء أمتهم وأصبحوا طوع بنان الأعداء، في استخدام كل وسيلة لتوهين العقيدة في نفوس الناس، والتضييق على دعاة الإسلام ومحاربتهم نفسياً ومادياً، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لتيئيس هؤلاء الدعاة.. وإبعادهم عن أتباعهم وجماعتهم.. ومن تلك الوسائل سجنهم وتعذيبهم ومحاولة غسيل دماغهم وتشويه سمعتهم، وإقامة المحاكمات الصورية لهم.. كل هذه الأساليب استخدمت ضد رجال الدعوة الإسلامية، الذين هم نبض هذه الأمة ، وروحها المعبر عن هذه العقيدة..

ثانياً: الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية في العالم الإسلامي: بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م أخذ الغرب يفتش عن عدو جديد له، فلم يجد إلا الإسلام والعالم الإسلامي، وبخاصة وهو يرى الصحوة الإسلامية بعد سبات طويل للعالم الإسلامي المقهور من قبل جميع القوى الصليبية والشيوعية والوثنية في الماضي القريب.. وبصفة أن شبح الحروب الصليبية – على حد تعبير محمد أسد في كتابه القيم « الإسلام على مفترق الطرق » والذي ذكرناه آنفاً في هذه الدراسة، أقول بصفة أن شبح الحروب الصليبية مازال يلاحق الغربيين بخاصة.. فالعدو الحاضر في أذهانهم هو الإسلام لا غير..

وهذا ما عبر عنه الرئيس نيكسون – الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية في كتابه « اقتناص الفرصة» بقوله : « إن الإسلام سوف يصبح قوة

سياسية متعصبة، فمن خلال نمو سكانه ، ومن خلال تبوئه مركزاً مالياً مهماً، سيفرض تحدياً رئيساً يحتم على الغرب أن يقيم تحالفاً قوياً مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي معاد وعدواني»[(١)].

ويعد نيكسون أن العالم الإسلامي هو التحدي الحقيقي للإستراتيجية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين[(٢)]. بعد الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم باسم النظام العالمي الجديد، والعولمة، ومحاربة الإرهاب.. واقتنصت الولايات المتحدة الفرصة بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) وضرب البرجين التجارية في نيويورك عام ٢٠٠١م لتعلنها حرباً شعواء نفسياً ومادياً ضد العالم الإسلامي.

فهاجمت أفغانستان عام ٢٠٠١م وهاجمت العراق عام ٢٠٠٣م وأخذت تهدد وتتوعد أي دولة لا تسير معها في سياستها ضد ما تسميه بالإرهاب – حتى المقاومة المشروعة ضد الاحتلال العسكري لبعض بلاد العالم الإسلامي صنفتها ضمن الإرهاب .. وأخذت تطلق الألقاب على الدول المعارضة لها، مثل مثلث الشر، الدول الداعمة للإرهاب.. إلخ..

وعداء حكومة الولايات المتحدة للإسلام لا ينطلق من فراغ، بل من جذور إنجيلية، لذا أطلق عليها من قبل جميع المفكرين في الشرق والغرب وحتى من الولايات المتحدة بالذات، اسم اليمين المسيحي المحافظ، أو المتطرف[(٣)].

---

(١) ص ١٩٥.

(٢) ص ٢٠٩.

(٣) انظر التقرير الخاص: الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية ، اليمين المسيحي وكيفية مواجهته بقلم دوان أولدفيد، الأستاذة المشاركة في العلوم السياسية في جامعة نوكس – مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية – لندن – آذار ٢٠٠٤م قدم في الاجتماع السنوي بجمعية العلوم السياسية الأمريكية المنعقد في الفترة ٢٨-٣١ آب ٢٠٠٣م.

والولايات المتحدة الأمريكية – زعيمة العالم الغربي في الوقت الحاضر – في حربها النفسية والمادية لا يخبط خبط عشواء، بل هي تسير في خطى مدروسة، وتعتمد على دراسات اجتماعية ونفسية موثقة من علماء غربيين، وعملاء حرب ومسلمين ممن يعيش في الغرب أو في العالم الإسلامي.. من هنا نستطيع رصد إستراتيجيتها في هذه الحرب من خلال النقاط الآتية:

١- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.

٢- السيطرة على الإعلام.

٣- تغيير الوعي الثقافي والسياسي لدى المجتمع الإسلامي.

٤- العولمة والهيمنة على العالم.

٥- استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب.

٦- دعم التوجيهات الحداثية والعلمانية.

٧- إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

(١) دراسة الحركات الإسلامية ورصدها:

والباعث لهذه الدراسة هو خشيتهم من الصحوة الإسلامية الحاضرة، المطالبة بتحكيم الإسلام في الحياة بعد أن فشلت النظم الجاهلية كلها من رأسمالية وشيوعية في تحقيق ما يصبو إليه الإنسان المسلم من عزة وكرامة وحياة آمنة... ولذلك دبت روح جديدة في ضمائر كثير من المفكرين المسلمين صارت تنادي بالرجوع إلى الإسلام عقيدة وشريعة في الحياة.

فقد بدأت صحف الغرب خاصة تنبه العالم الغربي إلى هذه الصحوة وتبين خطرها.. فالصحف الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والصهيونية كلها تتحدث عن هذه الصحوة الإسلامية، والعودة إلى الإسلام في العالم الإسلامي فصحيفة «لوموند» وغيرها من الصحف الفرنسية تكتب سلسلة مقالات عن الإسلام وعن الرسول محمد ﷺ وعن هذه النهضة الإسلامية التي بدأت تظهر بوادرها، وصحيفة «التايمز» «تقول : «ليست هذه الصحوة الإسلامية مقصورة على مصر بالطبع، فهناك أكثر منها وضوحاً في إيران وأخرى في باكستان وهناك علامات على وجودها في إندونيسيا ومؤشرات على انبثاقها في بعض مناطق الاتحاد الروسي المسلمة، أما إفريقية فقد أحرز الدين الإسلامي بعض التقدم على حساب المسيحية والديانات المحلية الأخرى، وعلى المستوى الدولي فقد ازداد الشعور التضامني الإسلامي بعد أن احتلت إسرائيل القدس الشريف ثم تقول: «إن المسلمين يكرهون الغرب، لأنه برز واشتهر على حساب انحسار المد الإسلامي، وفرضوا عليه كل ألوان الخزي والعادات السيئة» وتختم مقالها قائلة: «العالم الإسلامي يعتريه اليوم تطلع وحاجة لتأكيد ذاته وهويته» ثم تصيح منذرة محذرة: «الغرب اليوم أمام خطر، سيجعله يدفع الغالي والرخيص بسبب عجرفته الماضية ونجاحه السابق»[١].

---

(١) انظر البلاغ العدد ٤٦٩ – تاريخ الأحد ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨.

وهذه جريدة « باري ماتش» الفرنسية تتكلم عن المد الإسلامي الذي يغزو العالم، وأن على دول الغرب أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لكي لا تُفاجأ بالأحداث»[(١)] . وجريدة « هيرالد تريبيون » الأمريكية تكتب مقالاً بعنوان: « رياح البعث الإسلامي تقلق العالم » ، ثم تشرح الأخطار التي تهدد إسرائيل من جراء هذا البعث الإسلامي»[(٢)].

إن ما نشرته هذه الصحف يدل على أن هناك تخوفات من هذه الصحوة وأيادي تعمل على كبت انتفاضات الشعوب الإسلامية، والوقوف ضد كل صحوة إسلامية وبعث إسلامي، من شأنهما أن يزيحا الكابوس الاستعماري الظاهر والخفي على الشعوب الإسلامية، والذي يريد أن تبقى هذه الشعوب في ابتعاد عن حقيقتها ووجودها طامسة شخصيتها في شخصية الأجنبي، ومستبدلة بثقافتها وتفكيرها وقيمتها ثقافة وفكر وقيم الأجنبي.

وكذلك الصحف « الإسرائيلية » بدورها رفعت عقيرتها منذرة الغرب الخطر الذي يهددها مما أسمته بالرجعية الإسلامية الزاحفة ومثيرة في الوقت نفسه حمية حكومة موسكو محذرة من خطر البعث الإسلامي وتأثيره على المسلمين في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) في صحيفة « جويش كرونيكل» الأسبوعية: « إنه ليس في وسع الغرب أو الاتحاد السوفيتي إغفال النتائج المترتبة على نمو الثقة بالنفس عند المسلمين يمكن أن يزعزعا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية»[(٣)] . وهكذا نلاحظ أن هذا الانبعاث الإسلامي الذي أصبح يشق طريقه في البلاد الإسلامية يخطط الأعداء للتآمر عليه حتى لا يعم انتشاره، ويعملون على القضاء عليه وإلصاق

---

(١) مجلة الإصلاح العدد ١١ – تاريخ ربيع الأول ١٣٩٩هـ.

(٢) البلاغ العدد ٤٦٩ – ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨هـ.

(٣) البلاغ – العدد ٤٦٩ – ١٤ ذي القعدة ١٣٩٨هـ.

التهم المكذوبة به، ورميه أحياناً بالرجعية الزاحفة وأحياناً أخرى بالتواطؤ مع الشيوعية..

ويتأكد هذا من الخبر الذي نشرته صحيفة « واشنطون بوست » من أن البيت الأبيض كلف وكالة المخابرات الأمريكية بالعمل على دراسة الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي كله، وستضم هذه الدراسة التي أمر بإجرائها مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي « زبغنيو بريجنسكي» تقارير مستقاة من وكالات الاستخبارات المدنية والعسكرية ، وقد وصف مسؤولون أمريكيون الدراسة بأنها بالغة الحساسية نظراً للتأثيرات المتعاظمة للتعاليم الإسلامية في العديد من الدول، وللأهمية السياسية المتزايدة لعدد من البلدان الإسلامية. وقالت « الواشنطن بوست»: إن بريجنسكي مصمم على عدم السماح لمثل هذه التأثيرات بأن يكون لها دور في مناطق الأزمات في العالم كما حدث في إيران[1] .

ومما يؤكد هذه الأخبار أيضاً « أن مجلس الأمن القومي الأمريكي طلب من الاستخبارات البريطانية تزويده بكل ما يمكن من معلومات تتعلق ببعض الحركات الإسلامية، بسبب افتقار الولايات المتحدة إلى المعلومات الوافية عن هذه الحركة، ويشكل هذا الطلب جزءاً من المشروع الكبير الذي أمرت الحكومة الأمريكية بإعداد الدراسات اللازمة حوله قبل أيام لمعرفة تأثير الحركات الدينية»[2] .

ومن المعلوم أن الاستخبارات البريطانية لها خبرة كافية في هذه الحركات بصفتها الدولة الاستعمارية الأولى للعالم الإسلامية وتعرف ما يجري فيه .

---

(١) نشرت النبأ:

أ- صحيفة الشرق الأوسط – ٣١/١/١٩٧٩م.

ب- صحيفة القبس الكويتية – ٢٢ صفر ١٣٩٩هـ (٢١/١/١٩٧٩م).

ح- مجلة المجتمع (عن القبس) في ٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ (٣٠/١/١٩٧٩م).

(٢) صحيفة القبس ٢٥- ١٣٩٩هـ و ٢٤/١/١٩٧٩م.

ويسهم الصهاينة في فلسطين المحتلة في هذه الدراسة، مما يظهر تخوفها من هذه اليقظة الإسلامية وذلك أنها عقدت ندوة خصوصية شارك فيها عدد كبير من الاختصاصيين الصهاينة من جملتهم البروفيسور « شارون » مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية وغيره من الأساتذة الكبار. ولقد ذكر « البروفيسور شارون» في هذه الندوة أنه ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب وإثارة الجماهير، وأنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية، ولم ينس « شارون » كفاح ونشاط المفتي الحاج أمين الحسيني – رحمه الله – الذي اعتبره أعدى أعداء الصهيونية والمكافح الأول ضدها. ثم قال: « إن المساجد هي دائماً منبع دعوة الجماهير العربية إلى التمرد على الوجود اليهودي» واختتمت الندوة أعمالها مؤكدة أن هناك يقظة إسلامية حقيقية بين صفوف الفلسطينيين أيضاً وأن الاختلافات الموجود بين المسلمين لا تمنعهم من أن يتنادوا ليقفوا صفاً واحداً»[١].

(٢) **السيطرة على الإعلام:** رأينا آنفاً أن الإعلام من العوامل المهمة المؤثرة في السلوك، وفي قناعات الطرف المستهدف، من هنا يصبح الإعلام من أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية، حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتأثير على الآخرين.. فالإعلام هو الذي ينقل الأخبار وتفاصيل الحروب . بصيغ تزيد المعنويات أو تضعفها، وهو الذي يهول بعض الأمور ويضخمها، ويقلل من شأن أمور أخرى بنية تكوين حالة إحباط مؤلمة.. فضلاً عن طريقته في نقل الأفكار والمعلومات وحاجة الجمهور إليه في المتابعة وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير. لهذا كله يكون الإعلام من الأدوات الفاعلة جداً من بين

---

(١) مجلة البلاغ الكويتية –العدد نفسه المذكور سابقاً – في مقال بعنوان « رياح البعث الإسلامي تقلق العالم الغربي ».

أدوات الحرب النفسية.. ولهذا أيضاً كان الهدف الإستراتيجي للغرب هو السيطرة على الإعلام، وفعلاً أصبح بيده يصرفه كيف يشاء والدليل على ذلك[1]:

أ- غالبية الشركات العملاقة (متعددة الجنسيات) للصحافة والبث التلفازي والأقمار الصناعية الناقلة للبث الفضائي موجودة في اليد الأمريكية التي أنشأت النظام العالمي الجديد.

ب- أساس عمل شبكة المعلومات (الإنترنت) أمريكي ورأس مالها أمريكي ومراكزها عبر العالم أمريكية، والقدرة على مراقبتها والتحكم بها في يد أمريكية تسعى لتعميم النظام العالمي الجديد.

ج- ٨٠% من الأنباء العالمية التي تتداولها وكالات الأنباء في الدول النامية مصدرها الولايات المتحدة الأمريكية القادرة على « الفبركة » والصياغة حسب توجيهات النظام العالمي الجديد.

د- خمس عشرة شركة إعلامية أمريكية – غربية تتحكم في الوسائل والمواد والمؤسسات والتقنيات الإعلامية، والإعلانية في العالم، وأن ٧٥% من إجمالي الإنتاج العالمي من البرامج التلفزيونية أمريكي. و٩٠% من إجمالي الأخبار المصورة ، و٨٢% من إنتاج المعدات الإعلانية والإلكترونية ، و٩٠% من المعلومات المخزنة في الحاسبات جهد أمريكي.

هـ - رأس المال البالغ نحو (٤٨٩) مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية الإعلامية غالبيته أمريكي، يسعى أصحابه إلى استثماره للامتداد إلى السوق العالمي بدفع من النظام العالمي الجديد[2].

---

(١) انظر : الحرب النفسية في النظام الدول الجديد – د. سعد العبيدي – مجلة النبأ المصرية – ذو الحجة ١٤٢١هـ / آذار ٢٠٠١م.

(٢) المرجع السابق وانظر أيضاً: اتجاهات الشركات متعددة الجنسيات في ظل ثورة التكنولوجيا والإعلام – د. حسن زعرور – مجلة الفكر العربي – العدد ٨٩ – ص ٢٠١ – صف ١٩٩٧م.

لهذه كله نجد أن المهيمن على النظام العالمي الجديد استبدل في كثير من الأحيان، الحرب النفسية بالحرب التقليدية، لأنها أكثر تأثيراً، وأقل خسارة من الناحتين المادية والبشرية، ووجد في الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة أخطر أسلحة الحرب النفسية.

أما مضمون الإعلام المسيطر هذا فيوضحه ناعوم تشومسكي - المفكر الأمريكي- في كتابه « السيطرة على الإعلام » ، حيث يورد في كتابه الكثير من الأمثلة التي تبين حجم الأكاذيب والخدع والتضليل الذي يمارس على الجمهور، ويخلص إلى نتيجة رئيسة، وهي: أن « صورة العالم التي تقدم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب»[١].

وهكذا نجد أن زعيمة العالم الغربي تستعمل الإعلام الكاذب المزيف لسلاح من أسلحة الحرب النفسية الموجهة للعالم الإسلامي، لأن الدولة التي تكذب على جمهورها، ألا تكذب على الشعوب الأخرى التي تسعى الهيمنة عليها مادياً وثقافياً وحتى نفسياً.

(٣) تغيير الوعي الثقافي والسياسي : ويتضمن :

أ- التغيير التعليمي والثقافي.

ب- التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة.

أ- التغيير التعليمي والثقافي: تغيير الوعي عن طريق التغيير الثقافي والتعليمي هذا ليس جديداً، فقد حاولة الغرب عن طريق المستشرقين ، وتلامذتهم في العالم الإسلامي، وفشلوا في ذلك، وبقي الوعي الإسلامي المحرك الأساسي للمجتمع..

---

(١) انظر كتاب « السيطرة : على الإعلام » لناعوم تشومسكي - ترجمة أميمة عبد اللطيف دار الشروق الدولة - القاهرة - ط ١ - ٢٠٠٣هـ .

أنشؤوا المدارس التبشيرية، والمؤسسات الثقافية، واستخدموا التعليم وكل الوسائل الممكنة للقضاء على الثقافة الإسلامية، ولم يفلحوا، إذاً لابد من استعمال القوة أو التهديد بها.. لابد من الحرب النفسية وتوجيه جميع أسلحتها الفتاكة تجاه مصدر القوة الكامن في المجتمع الإسلامي.. وجاءت الفرصة لذلك بعد تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك عام ٢٠٠٢م.

* وبدأت الحرب النفسية الموجهة نحو العالم الإسلامي والعربي بشكل خاص، والمملكة العربية السعودية بشكل أخص.. بحملات إعلامية دعائية مخططة وهادفة تقول فيها:

- الوهابية السعودية مسؤولة عن التطرف في العالم الإسلامي كله.
- السعودية تصدر كره الكفار إلى الأمة الإسلامية.
- وتعلم الأطفال السعوديين كره الأمريكيين في المدارس الحكومية.
- السعودية هي التي أسست طالبان ومولتها[١].

- السعودية تمول الجماعات الإسلامية المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية عبر جماعات ومؤسسات، مثل رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ومؤسسة الحرمين الإسلامية. وكذلك عبر الشؤون الإسلامية في السفارات السعودية والقنصليات على مستوى العالم[٢].

* ثم بدأت وسائل الإعلام تركز على المناهج التعليمية في العالم العربي والإسلامي:

---

(١) انظر: أمريكا والسعودية .. حملة إعلامية أم مواجهة سياسية . د. غازي القصيبي نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط١ - ٢٠٠٢م.

(٢) التقرير الخاص - جيف كاري - معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى - موقع مركز الشرق العربي للدراسات - ١١/٦/١٤٢٥هـ.

- لابد من التغيير في العقلية التي تمثلها التقاليد الوهابية.

- يجب إلغاء فصول كاملة من الكتب التي تتحدث عن العداوة التاريخية بين المسلمين وغير المسلمين.

- التوقف عن دعم المدارس الإسلامية في الخارج أو تصدير نموذجها الديني إلى دول أخرى.

- حذف الأحاديث النبوية والآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى[١].

* وقد يأتي يوم تطلب فيه الولايات المتحدة الأمريكية التوقف عن تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية بصفتهما من منابع الإرهاب.. وقد رأى الملايين من مشاهدي القنوات الفضائية، كيف أن مراسل (س . إن . إن) وقف على مجموعة من الأطفال في بيشاور – باكستان يتعلمون القرآن الكريم وقال: هذا مطبخ الإرهاب».

* وإتماماً لتغيير الوعي لدى الفرد المسلم، فقد صدر عن داري النشر الأمريكية (Wine Pres , Omega٢٠٠١) كتاباً سمياه « الفرقان الحق » نشره المدعوان الصفي والمهدي عدّاه الكتاب المقدس للقرن الحادي والعشرين، وذكرا أنه للأمة العربية خصوصاً وللعالم الإسلامي عموماً. ويحتوي الكتاب على آيات من القرآن الكريم محرفة مع تلفيق وإضافات ما أنزل الله بها من سلطان.. وهدفهما نشر ثقافة الغرب في الأناجيل والتوراة .. فضلاً عن نشر ثقافة الاستسلام والخضوع والضعف والجبن في ديار المسلمين[٢].

---

(١) انظر مجلة النبأ الأسبوعية المصرية – القاهرة رجب ١٤٢٤هـ – ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م نقلاً عن وكالة الأنباء السعودية في ١٤/ ٩/ ٢٠٠٣م.

(٢) انظر موقع محيط على الإنترنت في ٢٨/ ١٢/ ١٤٢٥هـ نقلاً عن مجلة الفرقان التي تصدرها جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، والكتاب المذكور مترجم إلى اللغتين العربية والإنكليزية.

ب- التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة: مفهوم « التسميم السياسي» يتلخص في استخدام جميع الأمور المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح الطرف الآخر وأهدافه..

ويتوجه التسميم السياسي إلى عقل الإنسان ونفسيته ، محاولاً التأثر في ثوابته ومنهج تفكيره.. وهو بهذه الصورة من أسلحة الحرب النفسية، ويشبه إلى حد بعيد غسيل الدماغ الذي بسط في غير هذا الموضع من هذه الدراسة ويمكن تلخيص غايات التسميم السياسي وتحديدها في العالم الإسلامي في الآتي:

١- تحطيم إيمان المسلم بعدالة قضية التي يدافع عنها ومشروعيتها.

٢- تمزيق أسس المسلم الدينية والعقدية ومبادئه.

٣- إضعاف ثقة المسلم بهذه الأسس والمبادئ.

٤- تحطيم التماسك الإدراكي والعقلي للمسلم . والوصول به إلى مرحلة الإحباط .

٥- الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية.

٦- زرع قيم جديدة تخدم أهداف العدو.

* والوصول إلى هذه الغايات لا يتم دفعة واحدة، بل ضمن مراحل متعاقبة، كل مرحلة تؤدي إلى الأخرى ولنضرب مثالاً على ذلك بقضية فلسطين:

- قضية مجتمع احتلت أرضه، فمن حقه لاسترجاعها المقاومة .. وهو حق عادل وشرعي.

- تبدأ عملية التسميم برزع قيم جديدة لدى المجتمع المحتل مثل: الاعتراف بالآخر، والحرب ليس حلاً لأي مشكلة، والسلام والتنمية الاقتصادية...إلخ.

- تُضخم وسائل الإعلام والاتصال والتعليم والتربية هذه القيم حتى توصلها إلى قمة سلم القيم الهرمي، وعندئذ تحدث عملية إحلال شعورية ولا شعورية لها محل القيم القديمة الثابتة والعادلة، وهكذا تمسح الأمة ذاكرها..

- وهكذا تتخلى الأمة عن حقوقها الأصلية ومقدساتها في سبيل حل مشكلاتها الاقتصادية والرفاهية أو حتى إنها تتوهم تحقيق ذلك.

- وحتى إذا اكتشفت الأمة الحقيقة فإنه يترتب على ذلك نوع من الصدمة تؤدي إلى الشلل النفسي، والإحباط، ومن ثم عدم القدرة على المواجهة لما توجده من تمزيق في الشخصية، فيتحقق النصر للعدو بأقل تكلفة..

- وهكذا يتم التسميم السياسي والفكري الذي يُعدُّ المقدمة المنطقية لتشكيل الرأي العام في الأمة.. إزاء القضايا المهمة، وبهذا الأسلوب تخضع ذاكرة الأمة ووعيها الجمعي منذ عقدين من الزمن على الأمل في صراعها مع الكيان الصهيوني[(١)].

(٤) **العولمة .. والهيمنة على العالم:** تقف الأمة الإسلامية اليوم على مفترق الطرق، بعد أن برزت ثقافة معينة ذات لون واحد هو اللون الغربي للحياة، تريد أن تفرض على العالم البشري باسم « العولمة ».

هذا اللون الغربي للحياة ، أو هذا النموذج ، صورة لمجتمع واحد، له تراثه وأخلاقه وقيمه التي لا تتفق، في أغلبها ، مع الثقافة الإسلامية، أو العقيدة الإسلامية بخاصة، ومع الثقافات الأخرى للمجتمعات بعامة.

وليت الأمر كان عولمة .. للعلاقات الإنسانية القائمة على التعاون والتفاعل والموارد البناء من أجل تكوين حضارة إنسانية المبدأ تقوم على الحرية والمساواة بين

---

(١) انظر د. حامد عبد الماجد - التسميم السياسي ومحو الذاكرة - مجلة الانتفاضة الإلكترونية - العدد السادس - ١٤/ ١١/ ١٤٢٥هـ - الوقع على الإنترنت : WWW Pinonlin . net

الشعوب، وتحقيق إنسانية الإنسان في الحياة، ولكن الصور السلبية للعولمة تظهر بمحاولة هيمنة مدنية معينة، وهي المدنية الغربية [ولا نقول حضارة] على الحضارات الأخرى .

هذا مع العلم أن العولمة تلبس ثوباً قشيباً براقاً، يخدع المشاهدين، وهي تتزين بهذا الثوب ليقبلوها على علاتها..

ومن أهم السلبيات التي تتصف بها « العولمة » بصورتها الحالية الواقعية هي الهيمنة الشمولية، ومحاولة فرضها على العالم بالقوة أو التهديد بها، كسلاح من أسلحة الحرب النفسية، حتى لا يكون في العالم إلا ثقافة واحدة، وفكر واحد، وعقيدة واحدة، بينما نجد الحضارات ، على مر التاريخ ، لم تكن واحدة، بل كانت متنوعة، وهذا التنوع دفعها إلى الإبداع والابتكار في المجال المادي والفكري.

ولعل نظرة على الواقع في الساحة الدولية والساحة العربية والإسلامية تقنع أن منطق القوة هو السائد في عصر ما يسمونه « بالعولمة » و« الكوكبية » أو اختصاراً عصر القطب الواحد.. المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية ، زعيمة العالم الغربي دون منازع.

والغرب هو وارث المدنية الرومانية واليونانية، حيث القوة واستعمار الشعوب هو ديدنها.. ويظهر هذا واضحاً في رد الملك فيليب والد الإسكندر الأكبر على أستاذه الفيلسوف أرسطو الذي اعترض على نية الملك في غزو الشرق، قائلاً : « إنه يغزو الشرق حتى يجعل الثقافة اليونانية والفكر اليوناني هو فكر العالم وثقافته»[١] .

وهو الهدف نفسه الذي سعى إليه الاستعمار الأوروبي، سواء كان إنكليزياً أو فرنسياً أو برتغالياً أو إسبانيا في القرن التاسع عشر، لقد استخدم القوة العسكرية في غزو العالم وقهر شعوبه بحجة تحديثها وتمدينها وإعمارها[٢] .

---

(١) انظر : د. مصطفى النشار – ضد العولمة ص ٤٩ – دار قباء – القاهرة ط ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق ص ٥١.

وقد وصف جارودي في كتابه « حوار الحضارات » ما صنعه الغربيون بشعوب العالم الأخرى بأنه صنع « الشر الأبيض » وأطلق على إمبراطوريتهم اسم « إمبراطورية الشر الأبيض » « وهو أدق وصف يمكن أن توصف به أمم الغرب طوال تاريخها، فهي الأمم التي كانت دائمة السطو على إنجازات الآخرين، ودائمة الاعتداء على حقوقهم وأراضيهم ومواردهم تحت حجج واهية ودعاوى فارغة لا تنطلي على أحد»[١].

وها هو التاريخ يعيد نفسه، الغرب يريد الهيمنة على العالم الإسلامي تحت ذريعة « العولمة » ، وتحت دعاوى الإصلاح ونشر الديمقراطية، والتنمية الاقتصادية، وحقوق الإنسان، ولا ندري هل هذه الدعاوى صادقة؟ بينما نرى جيوشه الحرارة تدك أفغانستان والعراق وفلسطين، وتقتل الآلاف بالغازات السامة، والقنابل والصواريخ، إنه الغرب الحاقد على الإسلام، إنه الغرب الذي مازال شبح الحروب الصليبية يلاحقه، والصهيونية العالمية تنفخ في كيره.. ويمثلهم الدكتور برنارد لويس[٢] الذي نجح في إقناع الساسة وصناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية بآرائه التي ثبت فشلها، ولكن لجهل الأمريكان بالتاريخ والجغرافية، استسلمت عقولهم لصياغات برنارد لويس المنحازة والعنصرية[٣] ففي مقالته « جذور الغرب الإسلامي » التي نشرها عام ١٩٩٠م يرى أن الإسلام خطر على الغرب، ويرى أنه

---

(١) المرجع السابق .

(٢) برنارد لويس مفكر بريطاني الأصل، كان رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية ثم انتقل إلى أمريكا للتدريس في جامعة برنستون ، وأصبح من المقربين إلى البيت الأبيض في عهد بوش، وصديقاً حميماً لعدة رؤساء صهاينة – ألف عدة كتب عن العالم الإسلامي من أولها: الغرب والشرق الأوسط..

(٣) انظر : الندوات الثقافية – المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ في الرياض – ندوة : الخط الإسلامي بين الحقيقة والوهم ص ١٧٢، ١٧٣.

لا التقاء بين الإسلام والحضارة النصرانية الغربية، ولكنه يبعد أكثر من ذلك، فيقرر في ذلك المقال بأن الإسلام دين الحقد والعنف، وأن من سوء حظ الغرب أنه يعيش في هذه الحقبة التي وجه ذلك الحقد ضد الغرب.

ويرى الدكتور لويس رأياً خطيراً أيضاً، فهو يقرر في تلك المقالة بأن المسلمين متأثرون في نظرتهم على الغرب بالفكر النازي، وهذه النظرة هي أيضاً موجودة عند آخرين من الكتاب الغربيين – فهم يربطون الإسلام بالمبادئ المفروغ منها عند الغرب من حيث الوحشية والتطرف مثل الشيوعية والنازية الفاشستية[١].

ويؤكد عدم التقاء الحضارتين الإسلامية والغربية أيضاً « أيوجين روستو » رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية، ومستشار الرئيس الأمريكي « جونسون » لشؤون الشرق الأوسط فيقول: « يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية (الغربية)، لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، ذلك يجعلها تقف معادية للشرق الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي»[٢].

وهكذا يتبين لكل ذي بصيرة أن « العولمة » التي ينادي بها الغرب، ويريد فرضها على العالم الإسلامي للهيمنة عليه، ليست هي العولمة العلمية والتقدم العلمي، ولا العولمة الاقتصادية لخير الإنسان عامة دون تمييز بين دين ولون وعرق..

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣، وانظر أيضاً : د. سعيد حارب – الثقافة والعولمة ، ص ٦٠ ومابعدها – دار الكتاب الجامعي – العين الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع السابق (الثقافة والعولمة) ص ١١٦.

إنها نظام عالمي سياسي وعسكري واقتصادي وثقافي.. وحضاري إن صح القول.. إنها تسعى إلى إخضاع الإنسانية ومصيرها لاستبداديات إرهابية تحكم مسلك الأفراد والدول بل وجميع المجتمعات ، إنها « عولمة الرعب » إن سلكت طريق الإرهاب والحرب النفسية لفرض إرادتها.

(٥) **استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب**[١]. الإستراتيجية الأمريكية – زعيمة العالم الغربي – في منطقة الشرق الإسلامي – الذي يطلقون عليه الشرق الأوسط – تركزت في ثلاث دوائر متشابكة وهي:

- ضمان أمن إسرائيل.
- تأمين منابع النفط .
- مكافحة الإرهاب.

وقضية مكافحة الإرهاب أصبحت الأساس في هذه الإستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١م، واتخذت هذه الحرب أبعاداً لا يمكن فهمها إلا أنها حرب على الإسلام، والدليل على ذلك هو الاستهداف الواضح لكل ما هو إسلامي يحمل مشروعاً حضارياً أو جهادياً لمقاومة الاحتلال، وَرَفَضَ الهيمنة الغربية على المنطقة، وإلا فما معنى الاتهامات الأمريكية المتكررة لحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان وكشمير وغيرها.. وهؤلاء لم يهاجموا أمريكا وليست لهم علاقة بالقاعدة التي تحاربها.. وهذا يؤكد النهج الذي اعتمده اليمين المحافظ والتطرف في الحكومة الأمريكية لتمكين إسرائيل لبسط نفوذها بالمنطقة تحت ما يسمى بمشروع الشرق أوسط الكبير. وهذا ما يفسر الحملات المحمومة للضغط

---

(١) ملخص من مقال د. أحمد يوسف الكاتب الإسلامي المقيم في واشنطن ، الذي عنوانه: الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط : استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب . [www . algudr. Co]

على الدول الخليجية بعامة والسعودية بخاصة لوقف الدعم الشعبي والرسمي كافة للمقاومة الفلسطينية تحت ما يسمى بسياسة تجفيف المنابع حيناً، وقطع الطريق على دعم الإرهاب حيناً آخر.

وهكذا نجد أن الحرب على الإرهاب أصبح إستراتيجية ثابتة للقضاء على كافة القوى الوطنية والإسلامية، لتسهيل المهمة أمام إسرائيل للتوسع وبسط النفوذ في المنطقة خلال مشروع الشرق أوسط الكبير. إلا أن هذه القوى ستظل الحائط المتين الذي يمنع أمريكا من الوصول إلى غاياتها الاستعمارية، وتحقيق أحلامها في الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

حتى نؤكد أن الحرب التي يشنها الغرب على بعض دول العالم الإسلامي هي حرب صليبية بكل معنى الكلمة، ويطلق عليها الحرب على الإرهاب للتعمية على بقية دول العالم الإسلامي، نأتي بشواهد منهم، على حد قول مِنْ فَمِكَ أُدينكَ-:

أ- الباحث الأمريكي صموئيل هنتجون[1] في الشؤون السياسية قال في حديث صحفي نشر في عمّان ، وفي صحيفة الدستور[2] : «إن حرب الخليج الثانية التي حدثت في الربيع الماضي بمثابة حرب بين العالم الإسلامي من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة ثانية، حيث تمثل إسرائيل وأمريكا الغرب، وكانت تلك الحرب صورة حقيقية لصراع الحضارات الغربية مع الإسلام».

---

(١) صموئيل هنتجون: مدير معهد ألن للدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية، سبق وعمل في البيت الأبيض عام ١٩٧٧م كمنسق للتخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي وله عدة كتب أهمها: صدام الحضارات - انظر كلمته في الندوة التي عقدت في ظل المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر ١٤١٦هـ . الندوات الثقافية - نشر الحرب الوطني - ص ١٧٣ الرياض .

(٢) صحيفة الدستور - عمان في ١٦ رجب ١٤٢٤هـ/ ١٣ سبتمبر ٢٠٠٣م - وكذلك وكالة الأنباء السعودية (واس) في ١٣/٩/٢٠٠٣م.

وأضاف يقول: « إن القرن الحادي والعشرين يشهد حالياً الحرب الشاملة على المسلمين » وزعم الباحث الأمريكي الحاقد : « إن الحضارة الإسلامية هي العدو اللدود للحضارة الغربية التي تمثل المسيحية واليهود».

وقال : « إنه لابد للحضارة الغربية من مواجهة الصدام المنتظر بين المسلمين من جهة واليهود والمسيحيين من جهة ثانية.. داعياً الدول الغربية إلى تشكيل تكتل وتحالف غربي يضم المسيحيين واليهود لمواجهة الإسلام والمسلمين».

ب – الجنرال وليام بويكن الناطق باسم البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية) وصف الحرب على الإرهاب بأنها صراع المسيحية ضد الإسلام.

والجنرال نفسه هاجم المسلمين في شخص عيديد، زعيم الحرب الصومالي واعتبر إلههم صنم، حيث قال عنه: « كنت أعرف أن إلهي أعظم من إلهه، كنت أعرف أن إلهي إله حقيقي وأن إلهه ليس سوى صنم»[١] .

ج- برنارد لويس – ورأيناه آنفاً كيف يصف الإسلام بأنه دين الحقد والعنف، وكيف ربط الإسلام بالوحشية والتطرف، مثل الشيوعية والنازية.. وما في كلامه من تحريض على الإسلام والمسلمين، وما الحرب التي تشن على المسلمين إلا نتيجة تنظيره المزور الحاقد لمبادئ الدين الإسلامي.

د- ويلي كلاس – الأمين العام لحلف شمال الأطلسي ، وصف الإسلام بأنه العدو الأول بعد سقوط الاتحاد السوفيتي[٢] .

هـ – ويقول مورو بيرجر في كتابه « العالم العربي المعاصر»: « إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي

---

(١) انظر وكالة الأنباء الفرنسية – تاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٣م.

(٢) د. سعيد حارب – الثقافة والعولمة – (مرجع سابق) ص ١١٧.

إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره. إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الإفريقية»[١] .

- وهناك عشرات المقالات والأقوال لساسة الغرب ومفكريهم تؤكد أن المستهدف من شن الحروب الغربية بزعامة أمريكا هو الإسلام وليس شيئاً آخر[٢].. وقد لبست هذه الحروب ثوباً جديداً الآن وهو ثوب الحرب ضد الإرهاب العالمي.. على الرغم من أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صرح بأنها حرب صليبية إلا أن الكثير في العالم العربي والإسلامي لا يريد أن يصدق ذلك، وبقي يتعاون مع الإرهاب الدولي – كما يزعمون – الذي تقوده أمريكا ضد الشعوب الإسلامية، وهكذا يتبين لنا بعد هذه الأقوال الصريحة الواضحة أن الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي هو محاربة الإسلام.

(٦) دعـم التـوجهات الحـداثيـة. الحرب العسكرية التي تشنها الولايات المتحدة على بعض دول العالم الإسلامي مباشرة مثل أفغانستان والعراق، أو بالوكالة في فلسطين ليست كافية في حرب الإسلام بنظر المحافظين الجدد، بل لابد من دراسة دور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ثم محاولة السيطرة على هذه المجتمعات بمساعدة المسلمين « المعتدلين » . وتقوم بهذه الدراسة مؤسسات علمية ضخمة تعني بالفكر الإستراتيجي وتحويله إلى خطط، وخرائط، وبرامج، وأولويات، ويطلق على هذه المراكز Think Tanks أي « دبابات الفكر»وهي تَسْمِيَة تمزج الفكر بفلسفة القوة، وهي تعبر عن التحالف بين الفكر والسلاح في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تمثل قوى ضاغطة وفاعلة تعمل

---

(١) انظر مجلة روز اليوسف – تاريخ ٢٩/ ٦/ ١٩٦٣م.

(٢) ارجع إلى كتاب جلال العالم – قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام ، أبيدوا أهله – دار الاعتصام – القاهرة ١٩٧٤م.

بنشاط قل مثيله في العالم. ومؤسسة «راند البحثية» التي سنبسط تقريرها الإستراتيجي، أحد هذه الدبابات الفكرية[١].

وقبل تبيان ما في التقرير من خطط لابد من التنويه أنه ركز على مجتمع معين تنطبق عليه أطياف المجتمع التي ذكرها، وهذا المجتمع هو مجتمع المملكة العربية السعودية، وإن كان قد تعرض في بعض فقرات التقرير لمناطق مثل إيران وباكستان، إلا أنه يذكر أشياء لا وجود لها إلا في المملكة العربية السعودية.

عنوان التقرير : «الإسلام الحداثي أكثر لياقة»[٢]

- يقسم التقرير المجتمع إلى أربعة أقسام: الأصوليين والتقليديين والحداثيين والعلمانيين.

١- **الأصوليون** : وهم الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافية الغربية الراهنة.

- وهؤلاء موقفنا تجاههم عدم تأييدهم؛ إلا إذا كان الأمر متعلقاً باعتبارات تكتيكية مؤقتة.

---

(١) مؤسسة راند ، مؤسسة بحثية تأسست ١٩٤٨م وذات توجهات صهيونية، وتتبع وزارة الدفاع الأمريكية، ومنهم من يقول أنها تتبع الكونجرس ويوجد لها أربعة مواقع رئيسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثلاثة فروع في أوروبا في كل من هولندا وألمانيا، والمملكة المتحدة، كما أنشأت راند - قطر للسياسات في إبريل ٢٠٠٣م، برئاسة «شيرلي برنارد» عالمة الاجتماع، والباحثة الرئيسة، وكاتبة التقرير وزوجة زلمي خليل زاد الذي يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، ومبعوثه الخاص إلى أفغانستان، وأحد المقربين منه، وهو أيضاً رئيس لمجلس إدارة مؤسسة «راند» التي أعدت التقرير المذكور بتمويل من مؤسسة سميث ريتشارد سون (انظر سليمان البطحي - حوار معه - نشر في موقع الإسلام اليوم في ٢٠/ ٥/ ١٤٢٥هـ / ٨/ ٧/ ٢٠٠٤م، (وانظر أيضاً، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية).

(٢) ترجمة وتحرير شيرين حامد فهمي - في ١٨/ ٥/ ٢٠٠٤م. انظر موقع الساحة السياسية على الإنترنت.

٢- **التقليديون:** وهم الذين يسعون إلى مجتمع محافظ ، مع الابتعاد بقدر الإمكان عن كل ما يمت إلى التغيير والتجديد والحداثة.

- وهؤلاء ندعمهم ضد الأصوليين ..

٣- **الحداثيون** الذين يبغون عالماً إسلامياً مندمجاً في داخل الحداثة العالمية، مما يستلزم - من وجهة نظرهم - تحديث الإسلام وتغييره ليتماشى مع ظروف العصر. وهؤلاء هم الأقرب إلى الغرب إذا ما تحدثنا عن القيم والسياسات، ويجب دعمهم.

٤- **العلمانيون:** وهم يريدون عالماً إسلامياً بعيداً عن الدين، على غرار الديمقراطية الغربية - حيث الفصل بين الدولة والكنيسة.

- وهؤلاء أيضاً الأقرب إلى الغرب، ويجب دعمهم أيضاً.

* وينصح التقرير بالنظر وبإمعان وتدقيق في هذه القوى الاجتماعية الأربع، والعمل مع كل قسم ما يتواءم مع الأهداف الإستراتيجية للولايات المتحدة، وذلك كالآتي:

أولاً: تأييد الحداثيين: ويشمل التأييد:

- القيام بنشر وتوزيع أعمالهم بأسعار مدعمة.

- تشجيعهم على مخاطبة الجماهير والشباب والكتابة إليهم.

- تقديم آرائهم في مناهج التعليم الإسلامي.

- منحهم منبراً جماهيرياً يعبرون من خلاله عن وجهات نظرهم.

- جعل أحكامهم الشرعية تجاه المسائل الجذرية في متناول أيدي الجماهير، لنوع من المنافسة مع الأصوليين والتقليديين ..

- وضع العلمانية في اتجاه معاكس للحداثة، حتى لا يأتي بالأثر السلبي على الشباب المسلم.

- جعل كل ما يخص تاريخهم وثقافتهم متداولة، يسهل الوصول إليها في دور الإعلام وفي المناهج التعليمية للدول وثيقة الصلة بالموضوع.

- المساعدة على تنمية المنظمات المدنية المستقلة.

ثانياً : دعم التقليديين ضد الأصوليين : ويكون ذلك بـ:

- نشر وترويج النقد التقليدي للعنف والتشدد الأصولي، وتغذية نقاط الاختلاف بين التقليديين والأصوليين.

- دحض أي فرصة للتقارب بين التقليديين والأصوليين.

- تعزيز ودفع التعاون بين الحداثيين والتقليديين الغربيين للفكر الحداثي.

- تدريب وتثقيف التقليديين بجعلهم أكثر دراية وخبرة في مجال الأصوليين.

- تعزيز الوجود الحداثي في المؤسسات التقليدية.

- تأييد الاتجاه الصوفي، ونشره، والدعوة إليه!!!.

- التمييز والتفريق بين الفئات المتباينة في داخل التيار التقليدي، ومن ثم تأييد تلك التوجهات التقليدية الأقرب للحداثة.

ثالثاً: مواجهة ومعارضة الأصوليين : ويكون ذلك بـ :

- دحض نظرياتهم حول الإسلام، وإظهار عدم دقتها وصحتها.

- إظهار اتصالاتهم وعلاقاتهم بالجماعات والأنشطة غير القانونية.

- نشر العواقب الوخيمة الناتجة عن أعمال العنف التي ينتهجونها.

- إبداء قدراتهم الهشة في الحكم، وإمكانياتهم الضعيفة في الوصول إلى تنمية حقيقة تفيد مجتمعاتهم.

- توصيل هذه الرسائل - المذكورة آنفاً - إلى الشباب المسلم ، وإلى الجموع الغفيرة من المتدينين التقليديين ، وإلى الأقليات المسلمة في الغرب، وأخيراً إلى المرأة المسلمة.

- تجنب إظهار أي بادرة احترام أو تقدير لأعمال العنف التي يتبنونها، وصبهم جميعاً في قالب « الجبناء » و« المخبولين » ، وليس « الأبطال الأشرار ».

- تغذية عوامل الفرقة بينهم.

- دفع الصحفيين للتنقيب والبحث في جميع القضايا المهنية التي يمكن أن تشوههم وتنال منهم، مثل الفساد والنفاق، وسوء الأدب.

رابعاً: التأييد الانتقائي للعلمانيين: ويكون بـ :

- تأييد أولئك العلمانيين الذين يناهضون الأصوليين، والوقوف معهم في الخندق نفسه لمحاربتهم. ولكن من الناحية الأخرى التثبيط من أي تحالف علماني مع القوى المعارضة للولايات المتحدة، سواء على الأرضية الوطنية أو الأرضية اليسارية.

- التعزيز من فكرة فصل الدين عن الدولة في الإسلام، وأن الأخير لن يتضرر من هذا الفصل، بل على العكس سيستفيد منه أكبر استفادة.

* هذه بعض النقاط المهمة في تقرير « راند » ذكرت حرفياً .. دون تعديل ليعرف القارئ ما يفكر فيه الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، وعقلية المستعمر الذي يلجأ إلى الفتنة والتفريق بين أبناء الوطن الواحد، ليسهل عليه الهيمنة عليهم..

- فهو يضع الأصوليين وجميع الحركات الإسلامية في دائرة العنف.. وإذا كان يقصد بالأصوليين المتمسكين بدينهم . وهم المقصودون عنده – فإن الأكثرية منهم ذوو تفكير معتدل، ويؤمنون بالوسطية التي تعبر عن الإسلام الحقيقي، وهم لا يؤمنون بالعنف كوسيلة للتغيير .

- والإسلام الذي يريده التقرير هو « إسلام ديمقراطي مدني » يتناسب مع توجهات الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، يسهل توجيهه وتحويله صوب المزيد من الديمقراطية والحداثة والتأقلم مع النظام العالمي الجديد.

وباختصار يريدون إسلام خاملٌ هش يمكن اختراقه وتشكيله لكي يتناسب مع « أجندتهم »[١].

- ويصرح التقرير بوجوب دعم الحداثيين وقسم من العلمانيين الذين يحققون مصالح الولايات المتحدة - دعماً مادياً ومعنوياً ، أي تشكيل طابور خامس في المجتمع، لإفساده دينياً وثقافياً، مع رفع شأن هذا الطابور في الإعلام وتزكيته في التعليم ومنابر المجتمع الأخرى.

أما العلمانيون فيطلب التقرير من أصحاب القرار دعم من ينادي بفصل الدين عن الدولة، ومن يحارب الأصوليين علانية ، أما الوطنيون منهم الذين لا يرضون بالهيمنة الأمريكية فهم لا يؤيدونهم، حتى لا يتحالفوا مع القوى الأخرى، للوقوف ضدهم.

(٧) إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

ومن أسلوب الحرب النفسية أيضاً، حرب الإسلام الصحيح بإظهار الحركات الهدامة في الفكر الإسلامي، والتعتيم أو التزييف للفكر الإسلامي الصحيح. ويمكن إيجاز هذا الأسلوب بما يلي:

أ- **إظهار الحركات الهدامة وتلميعها:** هذا الأسلوب في محاربة الفكر الإسلامي الصحيح اقتبسه تلامذة المبشرين والمستشرقين من أساتذتهم، الذين أكبوا السنين الطوال في بحوثهم ودراساتهم على كل الآراء المناهضة للإسلام، والحركات المخربة والبدع الهدامة ثم خرجوا بنتيجة : أن الحركة المخربة: هي ثورة جماعية مظلومة، طفح بها كيل الشقاء، وإن البدعة الهدامة فلسفة، وتفكير سليم، والرأي المناهض حرية فكر.

---

(١) انظر : سليمان البطحي (مرجع سابق).

وبين أيدينا كتاباتهم، وكلها مديح واستحسان للمذاهب الضالة، التي أنزلت بالإسلام أبلغ الضرر، في عصره الأول، كحركة القرامطة، والباطنية، والخرمية، والبابكية وغيرها..

وهم يرددون شعارات براقة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب مثل: « التحليل العلمي » و« إعادة كتابة التاريخ » و « الدراسة الموضوعية المنهجية » فجعلوا باسم « التحليل العلمي » الحركات الشعوبية الحاقدة على هذه الأمة، منارات هدى في تاريخنا[١].

و« أرخوا للقرامطة معتمدين على كتب عرف مؤلفوها بشعوبيتهم، وبعدائهم لأمتنا والإسلام معاً، ككتاب ناصر خسرو الفارسي « سفرنامه » علماً أن المؤلف كان رحالة وليس مؤرخاً: فإذا النتيجة التي خرجوا بها تفاجئنا لتقرر أن : « القرامطة أول جمهورية اشتراكية في وطننا العربي قامت كرد فعل ضد الدولة العباسية الإقطاعية الرأسمالية اليمينية»[٢].

ومثل هذا الكلام يردده الآن كل أعداء الإسلام في بلادنا الإسلامية.. ومن الغريب أن هؤلاء حولوا الكذابين والأفاقين ومدعى النبوة والإباحيين إلى أبطال تحرير، وقواد ثورة.. إلخ ومن هؤلاء مثلاً « الأسود العنسي »[٣] المشهور بـ : «كذاب اليمن » حولوه إلى بطل من أبطال الأساطير في اليمن برغم أنه كذاب

---

(١) الإسلام وحركات التحرر العربية – ص ٥ – دار الفكر – دمشق ط ٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأسود العنسي : هو عبهلة بن كعب بن غوث من بلد يقال لها كهف حنان، ابن عنزة العبسي لقب بذي الخمار، كان كاهنا مشعوذاً يقيم بجنوب اليمن.. تنبأ وادعى النبوة وأطلق على نفسه « رحمان اليمن » وقتله وزيراه وزوجه الذين أسلموا وشهدوا بكذبه.. واستأصلت فتنته بعهد الصديق رضي الله عنه.

أحمق، زعم النبوة، وقام بفتن واضطرابات كثيرة وقد قضى عليه المسلمون وعلى أتباعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[(١)].

وكذلك الدعوة إلى القاديانية في القارة الهندية، التي أيدها الإنجليز بل صنعوها على أعينهم.. لتكون خنجراً مسموماً في جسم الأمة الإسلامية قال الدكتور (رحمة الله) : «إن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمى إلى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد ﷺ »[(٢)] أسسها الميرزا غلام أحمد عام ١٨٧٦م في مدينة قاديان إحدى مدن مقاطعة البنجاب بالهند.. وهو من بيت اشتهر بخدمة سياسة الإنجليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة[(٣)] وقد انتشرت هذه الدعوة المنحرفة المارقة في العالم أجمع بتأثير الإنجليز. ففي البلاد العربية مثلاً أسس القاديانيون مكتباً لهم في فلسطين على جبل الكرمل في حيفا، وذلك قبل اغتصاب فلسطين من قبل اليهود وكانت لهم علاقات حسنة مع اليهود بعد الاحتلال، مع العلم أنهم يقيمون في فلسطين المحتلة على الجواز البريطاني[(٤)] ودعوتهم نشطة إذ عندهم دار للتبشير ومكتبة عامة، ومكتبة لبيع الكتب، ومدرسة ويصدرون مجلة شهرية اسمها « البشرى ».

ومن المهم أن نذكر أن « دعاة القاديانية عندما يشرعون في بث دعوتها وفكرتها في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا بمظهر دعاة الإسلام، ولا يطلقون على مهمتهم إلا كلمات البعث والتجديد، لإيقاع المسلمين السذج في مصيدتهم.. »[(٥)].

---

(١) ارجع إلى مجلة « الإرشاد » اليمنية العدد « الثامن والتاسع » ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ مقال بعنوان « كذاب حولوه إلى بطل .. كذاب اليمن الأسود العنسي».

(٢) المودودي – ماهي القاديانية – ص ٥٥ دار القلم – الكويت ١٣٨٨ / ١٩٦٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٩.

(٤) المودودي – ما هي القاديانية ص ٦٤.

(٥) المرجع نفسه ص ٦٧.

والقاديانية نشطة أيضاً في أوروبا وإفريقية، وخاصة في إفريقية، وذلك للوقوف في وجه البعث الإسلامي هناك، وخاصة في نيجريا، حيث يشكل المسلمون كثافة سكانية كبيرة، وأن عدد مراكزهم في العالم حسب تصريحهم أنفسهم يقارب واحداً وثلاثين مركزاً[١].

ب – حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف ومشوه : وهذا وجه آخر من وجوه حرب الإسلام ، وقد رفع الستار عنه أعداء الإسلام حديثاً، بعد أن شعروا أنهم أمام موج طافح من البعث الإسلامي، إذا لابد لهم من أن يركبوا الموجه، بوساطة صنائعهم، ويدعون للإسلام، ولكن أي إسلام؟ إسلام مزيف.. مشوه بعيد كل البعد عن الإسلام الحقيقي .. ولنسمه « إسلام إنجليزي » أو «إسلام أمريكاني» إن جاز التعبير، لأنه فعلاً يعبر عن أهوائهم وأطماعهم في ضرب الإسلام الصحيح[٢].

---

(١) المرجع نفسه ص ٦٤.

(٢) ومن نوع هذا الإسلام الذين يدعون إليه: إسلام القذافي مثلاً – صاحب « النظرية الثالثة » – كما يسميها في كتابه « الكتاب الأخضر » الذي ملأه شعارات فارغة لا مضمون لها، ولست هنا في مجال عرض هذا الكتاب وما فيه من تخرصات... ولكن المهم أن نعرف أن « القذافي » جاهر بإلغاء السنة، وكانت أول محاولة لإلغاء السنة وعدم الاعتراف بها في مؤتمر الشعب العام عام ١٩٧٧م عندما قرر أن القرآن فقط شريعة المجتمع، ثم كان بعد ذلك المجاهرة بإنكار السنة حيث ألقى القذافي كلمته بمناسبة المولد النبوي في سنة ١٩٧٨م في مسجد « مولاي محمد » بطرابلس وقد ذكر يومها أن من بقايا الوثنية التي بقيت في النفوس قولنا « ﷺ ».

المبحث الثاني

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام .

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

(٢) مدد الله للمؤمن بقذف الرعب في قلوب أعدائهم.

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن:

(أ) الدعاية.

١- الشعارات والهتافات والرجز.

٢- الدعاية بالأعمال الرمزية.

(ب) إشاعة الفرقة بين الأعداء .

(ج) الشائعات.

ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية – وطرقها.

١- الإيمان الصادق بالله .

٢- الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.

٣- كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات.

٤- التصدي للقوى المضادة المستترة.

٥- مواجهة الشائعات والدعايات بالحقائق.

المبحث الثاني

مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

بعد أن بينا الحرب النفسية وأسلحتها، والأسس التي تقوم عليها في التصور الغربي والماركسي، وكذلك الحرب النفسية التي شنت من قبل الغرب والشرق على الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر.. ووزنا كل ذلك بميزان الإسلام العظيم..

بعد كل ذلك لابد من أن نبين مبادئ هذه الحرب في التصور الإسلامي والأسس التي قامت عليها، والوقاية منها، ومقاومتها إذا صدرت من الأعداء وتطبيقاتها العملية في الحروب الإسلامية الماضية، التي قصرنا كثيراً تجاهها في الوقت الحاضر، ولعل في عرضنا لهذه المبادئ، ما يكون حافزاً لبناء تصور كامل للحرب بنوعيها المادية والنفسية..

ومن ثم تطبيقها كما طبقها أجدادنا، وخاصة وأن هذه المبادئ مستوحاة من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله العظيم محمد ﷺ.

أولاً : أسس الحرب النفسية في الإسلام: تقوم الحرب النفسية في الإسلام على ثلاثة أسس مهمة هي:

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو.

(٢) مدد الله للمؤمنين تفوق الرعب في قلوب أعدائهم.

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن.

(١) إعداد القوة البشرية والمادية المرهبة للعدو. قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال ٦٠] .

والتعبير القرآني « ما استطعتم من قوة » يتضمن القوى البشرية والمادية والأسلحة بجميع أشكالها وأنواعها ولا يخفى ما لاستعراض القوة من إرهاب للآخرين.. وتعبير « رباط الخيل » يشير إلى أن المرابطة الدائمة والتأهب لملاقاة الأعداء في كل وقت .. من أسباب إرهاب الأعداء.

وتعبير « وآخرين من دونهم » يدلل على أن الإرهاب للعدو يتعدى العدو المباشر، إلى أعداء لا يعلمهم المسلمون، وهذه القوة ترهبهم وتردعهم بحيث لا يفكرون في التصدي لهم.

« وإعداد القوة أمر لابد منه للإسلام لكي ينطلق في « الأرض » لتحرير الإنسان .. وأول ما تصنعه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها..

« والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على « دار الإسلام » التي تحميها تلك القوة »[١].

ومصادر القوة في الإسلام كما توحيها هذه الآية الكريمة هي:

أ- القوى البشرية المدربة على السلاح، كيفما كان، وعلى جميع أنواعه.

والإسلام حض على تقوية الجسم والتدرب على السلاح منذ الصغر، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: « علموا أبناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل»[٢].

---

(١) ارجع إلى « الظلال » مجلد ٣/ ص ١٥٤٣ (تفسير سورة الأنفال).

(٢) رواه البيهقي (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) للسخاوي حرف العين).

والرماية فن وتدريب ، واهتمام الإسلام بها في تربية الأبناء ، دليل على أن أمة الإسلام أمة مجاهدة لا تعرف الخضوع والذل.. وقد خص الرسول ﷺ القوة في الرمي فقط بقوله ﷺ وهو على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[١].

والرمي هو رمي السهام على الأعداء في عهد رسول الله ﷺ .. واليوم الرمي هو أكبر قوة رادعة في العالم، بل هو الذي يتحكم بنتائج المعارك الحربية. ويبدأ من رمي البندقية العادية إلى رمي الصواريخ العابرة للقارات الحاملة للرؤوس النووية، وإن الخوف من بطشها الشديد بين المعسكرات القوية اليوم هو الذي يمنع قيام الحروب، وتؤدي دوراً مهماً في الحروب النفسية في الوقت الحاضر.

ب – ومصدر آخر للقوة هو قوة السلاح .. لذا نجد بعض المفسرين ينقل قول سعيد بن المسيب رحمه الله: « القوة : الفرس إلى السهم فما دونه»[٢].

وهذا يشمل في الوقت الحاضر: الطائرات والقنابل والصواريخ بأنواعها وقال بعضهم: « القوة الحصون » وهي تشمل في الوقت الحاضر الدبابات والمدرعات بأنواعها البرية والمائية.. بل وحتى الصواريخ المضادة لصواريخ الأعداء، بحيث تبطل مفعولها، مادام مفهوم الحصن هو المانع للأعداء من تحقيق النصر.

ج- التأهب الدائم والمرابطة[٣]: والتأهب الدائم من العناصر التي تقنع العدو بحيث لا يستطيع مباغتة المسلمين، والمعروف أن تعرض الجيش للمباغتة بضعف من قدرته وكفاءته القتالية. من أجل ذلك عُني الإسلام عناية بالغة بالحذر واليقظة والتأهب وجعلها من العناصر التي لا تنفصل من القوة، فلو تأملنا الآية الكريمة:

---

(١) رواه مسلم. باب « فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه » ج ١٣/ ٦٤ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) انظر « فتح القدير » تفسير سورة الأنفال.

(٣) ارجع إلى: النظرية الإسلامية في الحرب النفسية – ص ٢٩ جمال الدين محفوظ.

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ...﴾ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. » الآية نجد أن الله تعالى خص « رباط الخيل » بالذكر مع مع أنها داخلة فيما قبلها « من قوة » وهذا دليل على أهمية المرابطة وتأكيد لما بينها وبين القوة من ارتباط وثيق بحيث لا يستغني إحداهما عن الآخر:

- فالقوة: تحميها المرابطة بالحراسة واليقظة والإنذار المبكر، وهي بدونها تفقد فاعليتها وقيمتها إذا تمكن العدو من المباغتة.

- والمرابطة : في حاجة إلى القوة التي تساندها وتدعمها، وهكذا تشترك المرابطة مع القوة في تحقيق الهدف وهو إيقاع الرهبة في قلب العدو « من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..» الآية.

وقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكونوا على أقصى درجات التأهب، وهو ما يفهم من قوله ﷺ : « من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، يطير على متنه، كلما سمع هَيْعَة – أو فزعة – طار يبتغي القتل أو الموت مظانّه ... الحديث »[1].

وقد قدم الرسول ﷺ بنفسه مثلاً على درجة التأهب العالية حينما سبق أهل المدينة جميعاً ذات ليلة إلى مصدر صوت قوى غير عادي أفزعهم، فانطلق بعضهم

---

(١) رواه مسلم في « الإمارة » باب : فضل الجهاد والرباط تتمة الحديث : « أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير» ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٣٤، ٣٥.

هيعة : الصوت عند حضور العدو.

مظانه: يطلبه في مواظبة التي يُرجى فيها الشدة رغبة في الشهادة.

الفزعة: النهوض إلى العدو. (انظر الشرح في صحيح مسلم بشرح النووي ص ٣٥ ج١٣).

نحو الصوت، فإذا هم برسول الله ﷺ عائد من هناك راكباً فرسه عارياً والسيف على عنقه وهو يقول: لم تراعوا ، إنه لبحر» أي سريع الجري[١].

د- العقيدة الصادقة : الإيمان بالله، قوة عظيمة، تزود المؤمن المجاهد في سبيل الله، ثباتاً في المعارك، وشجاعة في القتال، لأن المؤمن يعلم أن الآجال بيد الله فهو لا يخاف على الحياة، وإن استشهد فهو حي عند الله تعالى.. وهذه القوة يرهبها العدو، ويحسب لها ألف حساب بعد أن خبر المؤمنين في قتالهم، لذلك فهي قوة رادعة أيضاً، تضاف إلى قوة الجسم وقوة السلاح..

ويشهد التاريخ أن الفتوحات الإسلامية، والانتصارات على الشرك والكفر لم يكن بعدد وعدة بقدر ما كان بالإيمان الراسخ المتين .. وكثيراً ما جابه المسلمون عدداً يفوق عددهم بعشرات الأمثال، وعدة تفوق عدتهم.. ومع ذلك انتصروا بإذن الله. وذلك بإيمانهم وتضحياتهم.. والشواهد على ذلك كثيرة في كتب السنن والتاريخ.

هـ - الوحدة وعدم التفرق: قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال ٤٦] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف ٤] .

في الآية الأولى نهى الله عز وجل المسلمون عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب، وذهاب القوة والنصر[٢].

---

(١) رواه البخاري في باب السرعة والركض في الفزع (رقم ٢٩٦٩ – فتح الباري) وكذلك باب مبادرة الإمام عند الفزع رقم ٢٩٦٨ وفي أبواب أخرى.

(٢) انظر تفسير الآية في «فتح القدير».

والآية الثانية فيها « إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفُّوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان»[١].

« كأنهم بنيان مرصوص» مثبت لا يزول ملصق بعضه بعضاً»[٢].

وهكذا فإن الوحدة بين المسلمين، وخاصة في جو المعركة مع الأعداء، قوة عظيمة وذهاب هذه الوحدة معناه الفشل وعدم النصر.

و- الجهاد بالنفس والمال: الجهاد بالنفس وهو القتال المباشر، وهذا يكون على أرض المعركة.

أما الجهاد بالمال فهو من مقتضيات إعداد العدة لإرهاب العدو، ومما لاشك فيه أن المال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال. لذلك ربط الإسلام بين الاستراتيجية والعسكرية والاقتصاد برباط وثيق، وهذا الرباط واضح في الآية ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ... ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال ٦٠] .

كما يتضح أيضاً فرض الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس على الأمة الإسلامية، بل إن الجهاد بالمال ورد مقدماً على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات التي تحث على الجهاد:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التوبة ٢٠]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف ١٠-١١][٣].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير في تفسير سورة الصف.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) وكذلك انظر الآيات: ١٦، ٤١، ٨٨ من سورة التوبة و ١٥ من سورة الحجرات، و٩٥ من سورة النساء.

وقال رسول الله ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[(١)].

وهكذا يحقق الجهاد بالمال الرهبة في قلوب الأعداء من قوة المسلمين، فإذا رأى العدو أنه سيواجه من المسلمين قوة عسكرية مؤمنة وقوة اقتصادية لا تنفد فسوف لا يستهين بالمسلمين، ولا يعلن أمله في التغلب عليهم[(٢)].

(٢) مدد الله للمؤمنين بقذف الرعب في قلوب أعدائهم. قال تعالى:﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر ٢] وقال تعالى:﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ١٥١] ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال ١٢] . في هذه الآيات الكريمة تبيان لنصر الله للمؤمنين على أعدائهم وذلك بقذف الرعب وهو الخوف الشديد في قلوب الأعداء، وهو وعد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وهذا الوعد كفيل بنهاية المعركة لصالح المسلمين وضمان لهزيمة أعدائه ونصر أوليائه. قال رسول الله ﷺ : « .. ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر..»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٢٥٠٤ في الجهاد – باب كراهية ترك الغزو . والنسائي ٦/٧ في الجهاد باب وجوب الجهاد (ارجع إلى جامع الأصول ٢/ ٥٦٤) وكذلك (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير) الألباني ج ٣ / ٤ .

(٢) النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص ٢٦.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري ١/ ٣٦٩ باب التيمم. ومسلم رقم ٥٢١ في المساجد (ج ٥ ص ٣ ط دار الفكر بيروت ١٣٩٢هـ) والنسائي (١/ ١٦٠) في الغسل (ارجع إلى جامع الأصول ج ٨ ص ٥٢٩) نشر دمشق – تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – ١٣٩٢هـ والحديث في البخاري : « عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركه الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

والرعب هو الفزع والخوف الذي أوقعه الله في قلوب أعداء النبي ﷺ وأعداء الله، وبينه وبينهم مسيرة شهر، لذا لا يقدمون على لقائه[1] وهذه خاصية للرسول ﷺ أعطاها الله للرسول ﷺ لم يعطها لأحد قبله. وهي حاصلة لأمته من بعده بإذن الله..

(٣) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن : تستخدم الحرب النفسي في الإسلام أسلحة الحروب النفسية التي تستخدمها الدول الأخرى من دعاية وشائعة وإرهاب بأساليب مختلفة نذكر منها:

أ- الدعاية: وهي من أهم أسلحة الحرب النفسية ، ولقد عَرفت الحرب النفسية ذاتها بأنها الاستخدام المخطط للدعاية بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب الدول المعادية لتحطيم روحها المعنوية وإرادتها القتالية..[2].

والجهاد باللسان حَضّ عليه الإسلام وأمر به، وقرنه بجهاد النفس والمال قال ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »[3].

ومن أشكال جهاد اللسان « هجاء المشركين » بالشعر الذي كان من أهم وسائل الإعلام في عهد رسول الله ﷺ ، وعند العرب في الجاهلية وكان وقع الهجاء في نفوس المشركين كبيراً: « عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: أهجو قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل»[4].

---

(١) ارجع إلى جامع الأصول ج ٨ ص ٥٢٩ وما بعدها – ط دمشق .

(٢) ارجع إلى تعريفات الحرب النفسية في الباب الأول من هذا البحث.

(٣) (مسند أحمد، أبو داود، النسائي ، ابن حبان، الحاكم) عن أنس رضي الله عنه صحيح (صحيح الجامع الصغير ج (٣ – ٤) الألباني.

(٤) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

والرسول ﷺ كان يحض حسان بن ثابت رضي الله عنه على هجاء المشركين. عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسان: أهجهم – أو قال هاجهم – وجبريل معك »[١].

كل هذه الأحاديث تبين أهمية الجهاد باللسان ، وشدة تأثيره على الأعداء ، حتى إن أهمية الكلمة الموجهة على الأعداء أشد من وقع النبل..

ومن أشكال أو صور الدعاية في الإسلام ما يلي:

١- **الشعارات والهتافات والرجز**: اتخذ المسلمون الشعارات والهتافات لتحقيق عدة أهداف كالتعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام، وإثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم، مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه في الوقت نفسه، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة: « أحد ، أحد » في غزوة بدر و« أمت، أمت »[٢] في غزة أحد، ومنها أيضاً « يا خيلُ الله اركبي » و« يا صباحاه»[٣] .. في غزوة ذي قَرَد ، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم « الله أكبر ».

وقدوة المسلمين في التكبير هو الرسول القائد ﷺ عندما كبر قبل فتح خيبر وأنزل الهلع والخوف في اليهود.

عن أنس رضي الله عنه قال: « صبح النبي ﷺ خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس، محمد والخميس، فلجأوا إلى

---

(١) رواه البخاري في مواضع متعددة: كتاب الأدب – باب هجاء المشركين رقم ٦١٥٣ وكذلك في كتاب المغازي وكتاب بدء الخلق.

(٢) أبو داود رقم (٢٥٩٦) في الجهاد. وأحمد في مسنده ٤/٤٦ (ارجع إلى جامع الأصول ٢/٥٧٣) – (وكذلك انظر «النظرية الإسلامية في الحرب النفسية » ص ٣٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي « باب غزوة ذي قَرد ج ١٢ ص ١٧٣). (وذي قرد: ماء على بعد يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان). وانظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٢٣).

الحصن، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »[١].

والرّجز يستخدم في المعارك أو قبلها لتقوية الروح المعنوية للمقاتلين وزيادة حماسهم، واندفاعهم أثناء القتال.. ومما ورد في الرجز.. أن رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تَصدّقنا ولا صَلّينا

فَأَنْزِلَنْ سَكينة عَلينا إن الألى قد أَبَو علينا

ويرفع بها صوته[٢].

ومنها ما ارتجزه سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - عندما استأذن رسول الله ﷺ والمسلمون قافلون من خيبر بعد فتحها..[٣].

وكذلك أثناء حفر الخندق رُوي عن النبي ﷺ أنه ارتجز:

اللهمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشَ الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكذلك كان الأصحاب - رضي الله عنهم - يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام ما بقينا أبدا[٤]

---

(١) رواه البخاري (انظر فتح الباري رقم ٢٩٩١ج ٦ ص ١٣٤) باب التكبير عند الحرب.. قال الشارح : قوله (باب التكبير عند الحرب) أي جوازه أو مشروعيته . (المساحي): آلة الزرع، (محمد والخميس): أي محمد والجيش.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٧١ (كتاب الجهاد والسير - غزوة الأحزاب وكذلك البخاري (انظر فتح الباري رقم ٣٠٣٤).

(٣) المرجع السابق (نفس الكتاب - غزوة خيبر) ص ١٧٠.

(٤) المرجع نفسه (كتاب الجهاد ، غزوة ذي قرد).

وأيضاً ما روي عن ابن الأكوع - رضي الله عنه - أنه عندما سمع أن غطفان أخذت لقاح رسول الله ﷺ قال: « فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه قال: فأسمعت ما بين لا بتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت راميا وأقول:

أنا ابن الأكـــوع   واليــوم يوم الرضــع

فارتجز حتى استنقذت اللقاح منهم..»[(١)].

٢- **الدعاية بالأعمال الرمزية:** قلنا سابقاً [(*)] إن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وبينا نجاح الدعاية الغربية في هذا المجال.. ولو رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي لوجدنا أن هذا النوع من الدعاية قد استخدم بغرض إرهاب العدو وتخويفه.. ومن ثَمَّ الانتصار عليه.. وهزيمته بلا قتال..

وكمثال على هذا النوع من الدعاية.. ما جرى قبل فتح مكة من تخطيط وضعه رسول الله ﷺ .. وفعلاً نجحت الخطة .. وفتحت مكة بلا قتال والحادثة التاريخية الآتية تبين نوعين من الأعمال الرمزية لإرهاب مشركي مكة نذكرها بعد إيراد الحديث: الذي رواه البخاري في صحيحه عن هشام عن أبيه قال: « لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حُزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان: ما هذه ؟ لكأنها نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان:

(١) المرجع السابق ص ١٧٤ (غزوة ذي قرد) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه للحديث: (أنا ابن الأكوع) « وفيه جواز قول مثل هذا الكلام في القتال وتعريف الإنسان بنفسه إذا كان شجاعاً ليرعب خصمه.. (ذي قرد) هو ماء على بعد يوم من المدينة (بوسائل مواصلاتهم المستخدمة في ذلك الحين).

(*) في الفصل الثاني (الدعاية الغربية).

عمرو أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال. يا عباس من هذه ؟ فقال: هذه غفار، قال: مالي ولغفار، ثم مرت جُهينة، قال: مثل ذلك الحديث[1] حتى مرت جميع القبائل».

في هذا الحديث عملان من الأعمال الرمزية لإرهاب العدو وتخويفه وهما:

الأول: إيقاد النيران الكثيرة وفي رواية ابن سعد « أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار»[2].

وكذلك عن « ابن إسحاق » « أن المسلمين أوقدوا تلك الليلة عشرة آلاف نار»[3] ورؤية هذه النيران الكثيفة دلالة على ضخامة الجيش، ولا يخفى ما في ذلك من تخويف وإرهاب للنفوس.

الثاني: قول الرسول ﷺ للعباس: « احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين..».

وفي رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فاحبسه حتى تُريه جنود الله، ففعل فقال: أبو سفيان: اغدرا يا بني هاشم؟ قال: العباس: لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركين

(١) رواه البخاري (انظر فتح الباري) رقم ٤٢٨٠ ج ٨ ص ٥ (للحديث بقية). « مر الظهران » : مكان قرب مكة. « نيران عرفة » : إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة. (انظر فتح الباري شرح الحديث).

(٢) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطم الجبل: أنف الجبل.. وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق).

(٣) المرجع السابق .

وما أعد الله للمشركين، فحبسه بالمضيق دون الأراك حتى أصبحوا » وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: لتظهر كل قبيلة ما معها من الأداة والعدة وقدم النبي ﷺ الكتائب..»[١].

وفي رواية ابن إسحاق : « حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، لا يُرى منها إلا الحدق من الحديد فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت: يا أبا سفيان إنها النبوة قال: نعم إذن قال: قلت: النجاء[٢] إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به...»[٣].

واختيار الرسول ﷺ لمضيق الوادي بالذات لوقوف أبي سفيان يدل على براعة وإحكام في تدبير أمر التخويف، فمرور الجيش في مضيق ، يجعل أبا سفيان يرى قوة الجيش عن كثب وهي تمر عليه، ولو كان اختار موضعاً في الصحراء المكشوفة لتفرق الجيش فيها، ولما وقع التأثير المعنوي المطلوب.

(ب) **العمل على الفرقة بين الأعداء:** ووسيلة المسلمين في ذلك كان الاتصال الشخصي، لعدم توافر وسائل الإعلام الموجودة اليوم.. وغاية المسلمين من العمل على الفرقة بين الأعداء، التخذيل بينهم حتى لا يكونوا وحدةً على المسلمين، ومن ثمَّ إضعافهم وفشلهم..

---

(١) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطم الجبل: أنف الجبل.. وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق).

(٢) النجاء إلى قومك: أسرع على قومك.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٢.

وقصة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في غزوة الأحزاب مشهورة، روتها كتب السيرة.. إذا استطاع نعيم أن يفرق بين قريش وبني قريظة، بعد أن قال له رسول الله ﷺ وقد جاءه مسلماً، ولم يعلم قومه بإسلامه « إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة»[1].

وقام نعيم بن مسعود بالمهمة خير قيام بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين (قريش ويهود بني قريظة) وفي إزالة الثقة فيما بينهم.

(ج) **الشائعات**: وهي من أسلحة الحرب النفسية التي استخدمها المسلمون: وهي من أفتك الأسلحة لما لها من خاصية سرعة الانتشار ، وخاصة إذا تحولت الشائعة إلى أسطورة دائمة.. في أذهان الناس لا تموت على مر الزمان.. واستخدام الشائعة – الأسطورة – إن جاز لنا التعبير يحتاج إلى حنكة ودهاء لبث الرعب في قلوب الأعداء .

ويذكر لنا التاريخ أن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه استخدم الشائعة في حربه النفسية مع الروم قبيل وقعة اليرموك إذ « إن ماهان – قائد الروم – طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين، فيجتمعا في مصلحة لهم فقال ماهان: « إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع فهلموا إلي أن أعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها » فقال خالد: « إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك فقال أصحاب ماهان: « هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب»[2].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١١١ – مكتبة المعارف – بيروت ط ١٩٧٨ وكذلك السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ / ٢٤٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (ج ٧ ص ١٠).

وكلمات خالد فعلت فعلها، في زرع الخوف في صميم قلوب الأعداء لذلك صدق أصحاب ماهان ما قاله.. وكان بعد ذلك الانتصار العظيم للمسلمين على الروم في الشام وقد كان عدد الروم يومها يفوق عدد المسلمين أضعافاً مضاعفة.

هذه بعض أسلحة الحرب النفسية في الإسلام، وقبل ختام هذه الفقرة قد يخطر ببال البعض، أن أسلحة الحرب النفسية هذه، من دعاية وشائعة والتي تستخدم من قبل أعداء الإسلام بصورها السلبية، المبنية على الكذب والخداع في جميع المجالات .. وفي كل الأوقات.. في وقت السلم وفي وقت الحرب، فكيف يسيغ للمسلم الكذب والخداع ، وهل يشرع له الكذب والخداع؟ وفي أي مجال؟ ..

وحتى تتضح الصورة في ذهن الإنسان المسلم ، لابد من إيضاح هذا الأمر..

إن الإسلام دين صدق وعدل في معاملته، حتى مع أعدائه، فهو لا يحب الظلم، والكذب .. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة ٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة ١١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٠] .

والإسلام يريد للبشرية أن ترتفع، ويريد للبشرية أن تعف، فلا يبيح الكذب والظلم في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة .. وليس مسلماً من يسوّغ الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية لأنه لا انفصال في تكوين النفس البشرية وعالماً بين الوسائل والغايات من أجل ذلك نهى الله عن الكذب والظلم وأنذر الكاذبين بعذاب أليم: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة ١٠] .

وقال ﷺ حاضًا على الصدق، ناهياً عن الكذب، مبيناً عاقبة كل منهما: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(١).

وكذلك فإن الإسلام لا يخدع ولا يغش وخاصة مع الأمم التي بينه وبينها ميثاق فهو لا يصافح باليد اليمنى، والخنجر المسموم في اليد اليسرى، كما هو سبيل الدعاية الغربية والشيوعية، وهو لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون .. فإذا نبذت المواثيق، وأعلنت الحرب، في هذا الوقت بالذات؛ الحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره، فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير معذور به إنما هو غافل ، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة(٢).

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ « الحرب خُدعة»(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله : « واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز»(٤).

وهذه المخادعة يمكن أن تتم بأسلوب التخذيل والتفرقة بين أعداء الإسلام، كمثل الذي تم قبيل غزوة الأحزاب بوساطة نعيم بن سعود -رضي الله عنه- الذي عمل على إثارة الفرقة بين مشركي مكة وبني قريظة من يهود المدينة، وقد ثبت في الصحيح أنه يجوز الكذب والاحتيال في الحرب.

---

(١) متفق عليه (باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) واللفظ لمسلم (ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٥٩).

(٢) انظر « في ظلال القرآن » تفسير سورة الأنفال.

(٣) أخرجه الجماعة إلا الموطأ والنسائي (جامع الأصول ج ٢ ص ٥٧٥).

(٤) صحيح مسلم (باب جواز الخداع في الحرب) (ج ١٢ ص ٤٥) (بشرح النووي).

قال ﷺ : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً »[١] وزاد مسلم في رواية « قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : الحرب والإصلاح بين الناس وحديثُ الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها »[٢].

ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية: ذكرنا آنفاً [٣] عند بحثنا للشائعة – باعتبارها سلاحاً من أسلحة الحرب النفسية طرق مقاومتها في المجتمع الإسلامي وخاصة خلال الأزمات التي يتعرض لها المجتمع في الحروب وغيرها..

وكذلك في بحثنا لعلم النفس العسكري[٤] بيّنا قيمة الروح المعنوية للمقاتلين والتي هي من أولى دعائم النصر في المعركة، وأن الحرب النفسية تستهدف تحطيم هذه الروح، لذلك تتخذ الجيوش كل التدابير التي من شأنها رفع الروح المعنوية وتقوية إرادة القتال لدى رجالها ومقاومة الحرب النفسية التي تشن من قبل الأعداء، وإزالة آثارها إن استجاب لها بعض الأفراد واستعادة الروح المعنوية العالية. ومن أهم طرق مقاومة الحرب النفسية في التصور الإسلامي ما يلي[٥]:

١ – **الإيمان الصادق بالله:** فالمؤمن لا يخاف ولا يرهب، لذا هو لا يستجيب للدعاية التي تَوَد إرهابه وإرعابه: ولا يخاف إلا من الله عز وجل وحده.

---

(١) أخرجه الجماعة إلا الموطأ والنسائي (جامع الأصول ج ٢ ص ٥٧٥).

(٢) صحيح مسلم (باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه) ج ١٦ ص ١٥٧. وأم كلثوم هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللائي بايعن النبي ﷺ وهي زوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٣) الفصل الثالث – أسلحة الحرب النفسية – الشائعات.

(٤) الفصل الأول – علم النفس الاجتماعي – فقرة علم النفس العسكري.

(٥) ارجع إلى النظرية الإسلامية في الحرب النفسية [ص ٣٨ – ٥٨] اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ – دار الاعتصام – القاهرة . لقد استفدت منه كثيراً في هذه الفقرة ، جزاه الله خيراً.

قال تعالى :﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٥] وقال تعالى واصفاً المؤمنين المجاهدين :﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة ٥٤] .

– أما المنافقون الجبناء فقد قال فيهم تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب ١٩] .

– وأما المؤمنون فلا يزيدهم التهديد إلا إيماناً: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٣] .

– وإذا كان من أهم أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمنتصر، ومن محاولة جعل النصر حاسماً بالدعوة إلى الاستسلام وبث الشائعات والأراجيف وإشاعة اليأس والقنوط.

– فإن المؤمن لا يخشى الموت لأنه يؤمن بأنه لا يموت إلا بأجله الموعود: قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يونس ٤٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾ [آل عمران ١٤٥] وقال تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء ٧٨]

– إن المؤمن يعتقد بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى، وما أصدق قول خالد ابن الوليد – رضي الله عنه– عندما حضرته الوفاة : « لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء»[١].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١١٤.

- والمؤمن لا يخاف الفقر، لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة ٢١٢] ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود ٦] ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات ٢٢] والمؤمن لا يخشى قوات العدو الضاربة، فما انتصر المسلمون أيام الرسول القائد ﷺ وفي أيام الفتح الإسلامي بعدة أو عدد، بل كان انتصارهم بالإسلام. قال تعالى:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة ٢٤٩] .

- والمؤمن لا يقر بانتصار أحد عليه مادام في حماية عقيدته، فهو لا يستسلم أبداً ولا يفكر بالاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصا العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة. قال تعالى:﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران ١٤٠] .

- وكذلك المؤمن لا ييأس أبداً.. لأن النصر له في النهاية بإذن الله وأن اليأس شيمةُ الكفار. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف ٨٧] . وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف ١١٠] وأن المؤمن يشعر دائماً أنه الأعلى في عقيدته وأن أعداءه ما هم إلا كفرة فجرة، فكيف يخضع لهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران ١٣٩] هذا الشعور يرفع من روح المؤمن المعنوية ولهذا فهو لا يستسلم.. وقال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون ٨] . وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ ﴾ [يونس ٦٥].

- والمؤمن يقاوم الغزو الفكري والحضاري ومحاولات التنصير والتزييف التاريخي من قبل المستشرقين .. ويعتقد أن ما في دينه من حضارة وفكر يغنيه عن

استيراد العقائد المشبوهة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون ١-٦] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾ [يوسف ١٠٨] .

٢- **الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية:** إن الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم عناصر المقاومة لهذه الحرب، لذلك نجد كل الجيوش تطالب كل جندي بأن يكون واعياً ومدركاً وعارفاً بما يلي، حتى لا يخدعه أو يضلله:

- ماذا يدبر العدو ضد أمته؟
- ما هو هدف دعايته؟
- ماذا يريد العدو منك أن تفعله؟
- ما هو أسلوب الحرب النفسية للعدو وما هي طبيعة دعايته؟

وهذا الوعي يجعل المقاتل مستعداً استعداداً نفسياً لمواجهة الحرب النفسية، وعدم الاستجابة لها والتأثر بها، وخاصة إذا كان مسلماً بالإضافة إلى الوعي والمعرفة والإيمان القوي والعقيدة الراسخة.

وقد عُني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين، والقضاء على وحدتهم وأمنهم، ودورهم في التخذيل والتوهين وتثبيط العزائم، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن والمسلمين إلى طريق مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، وهذا ما نبينه باختصار فيما يلي:

أ- فضح محاولات التفرقة ومقاومتها: قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران ١٠٠] ثم قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران ١٠١].

ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران ١٠٢-١٠٣].

والقرآن يدعو المسلم إلى الحذر من الأعداء مع تبيان هؤلاء الأعداء: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون ٤].

ويقصد بهم المنافقون في هذه الآية.. وكذلك اليهود من أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة ٨٢].

ب- كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم: يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤديه أعداء الإسلام في التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورته إذا انساق في تياره أبناء الأمة، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذاناً صافية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون، وهذا شأنهم في كل عصر.

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين – عندما أمر الرسول عليه السلام بالإعداد لغزوة تبوك – إلى أن يتخلوا عن الرسول ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر.. فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبئهم بأن جهنم أشد حراً وتطلب من الرسول ألا يستعين بهم في

غزوة أخرى: قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة ٨١-٨٣] فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم، ويحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يقرر أيضاً ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه.

ج- كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر: ويكشف القرآن أيضاً محاولات أعداء الإسلام لزعزعة المسلمين في النصر فأورد مثالاً على ذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن ينفثوا سمومهم في أهل المدينة يشككونهم في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين، فركزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف وإضعاف العزائم ليتركوا الرسول - في غزوة الخندق - وحده مع نفر قليل، وليرجعوا إلى بيوتهم متعللين بأنها غير محصنة (وكان الخندق خارج المدينة): قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب ١٢-١٣].

٣- **كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات:** إن توجيهات الإسلام تسد منافذ الحرب النفسية ولا تعطي غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن أسرار الجيش والأمة، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال، وخاصة في الظروف الحساسة، ولذلك لام القرآن المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله ﷺ ويذيعونه ويتحدثون به

قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم بحالة السلام والأمن وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء ٨٣] .

وكما حذر الإسلام من إذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من الأنباء قبل الركون إليها والعمل بها: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦] .

وحذر القرآن من تناول ما لم نستيقنه أو نعلمه:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء ٣٦] .

ولقد نهى الله تعالى أن يكون مصدر العلم الظن ووصف الكافرين باتباع الظن ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم ٢٣] ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم ٢٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات ١٢] وأن على المسلم تحري الصدق في القول والعقل.. ومراقبة لسانه جيداً فقد تجر كلمة واحدة عواقب وخيمة: يقول ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»[1]. وعند مسلم: « أبعد مما بين المشرق والمغرب».

ويحذر الإسلام من ترويج الشائعات وإن من أشد أنواع الكذب أن يدعي الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يذيع عنه: قال ﷺ : « أفرى الفرى، أن يُري الرجل عينيه ما لم تريا»[2].

---

(١) متفق عليه – (ارجع إلى فتح الباري رقم (٦٤٧٧) باب حفظ اللسان... ومعنى يتبين : يفكر أنها خير أم لا.

(٢) رواه البخاري في التعبير (باب من كذب في حلمه).

كما يكشف الإسلام مدى الجريمة التي يقترفها مروجو الشائعات كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور ١٥].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور ١٩].

وهكذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون، وأن يقدروا الكلمة قبل أن ينطلق بها اللسان، وأن يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا أنها أمانة، وأن الكذب فيها أو قولها لغير ما قيلت له غش وخداع وكذب على الله الذي يكشف الدخائل ويدرك الخفايا: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١].

٤- **التصدي للقوى المضادة المستترة**: ومما تتميز به « الإستراتيجية » الإسلامية في إعداد القوة الرادعة التي ترهب العدو أنها لا تهدف إلى ردع العدو الخارجي الظاهر فقط ، بل تهدف أيضاً إلى ردع أعداء الإسلام من القوى المضادة التي تعمل في الخفاء والتي قد يكون خطرها – إذا غفلت الأمة عنها أو لم تتصد لها – أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر: قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ [الأنفال ٦٠].

إن « عدو الله » و« عدو المسلمين » هم المشركون والكافرون واليهود قديماً، أما حديثاً فهم أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى والشيوعيين الملحدين الذين يجاهرون بالعداء ويعلنون الحرب بحجج يعلمها كل مسلم أنها باطلة.

أما الفئة الثالثة: وهي المعبر عنها بقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ .

فقد فسرها العلماء السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوباً ظاهره الرحمة وباطنه العذاب.. إن قوله تعالى هذا ينطوي في الوقت الحاضر على كل القوى المضادة التي تحقد على الإسلام، وتنفث سمومها في الخفاء، وتروج الشائعات، وتثير الفتنة، وتغرى بالفساد .. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها، ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكري الهدام..

ومن أجل ذلك فقد نبه القرآن المسلمين إلى تلك الفئة من الأعداء الخفيين وأوجب على الأمة الإسلامية إعداد كل وسائل القوة التي تردعهم.

٥- **مواجهة الشائعات والدعاية بالحقائق:** ليس هناك مثل الحقائق وسيلة للقضاء على الشائعات والدعايات الخبيثة التي تريد النيل من الإسلام ، هذه حقيقة علمية يقررها علماء النفس وخبراء الحرب النفسية.. إن غيبة الحقيقة تولد لدى الإنسان فراغها فكرياً يجعله فريسة سهلة للإشاعات والأخبار المضللة التي يذيعها الأعداء مستغلين ذلك المناخ الصالح الذي يتهيأ لهم لتحقيق أعراضهم في تدمير الروح المعنوية.

ولا تفلح وسائل تكذيب الشائعات والأخبار المضللة في إزالة تلك الآثار الهدامة مثلما تفلح الحقيقة التي هي السبيل الأوحد لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض.

ومن الأمثلة التي تساق في هذا المجال ما حدث في عمرة القضاء سنة سبعة للهجرة قبل فتح مكة.. إذ أشاع المشركون أن المسلمين لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وقد وهنتهم حمى يثرب، فخرج أهل مكة لينظروا ذلك حتى

النساء والأطفال.. فما كان من الرسول ﷺ وقد بلغته هذه الدعاية وما بالمسلمين من حمى.. إلا وأمر أصحابه الاضطباغ(١) والرمل(٢) ثلاثاً أثناء الطواف ليري المشركين قوة المسلمين.

« عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: إن رسول الله ﷺ قدم مكة فقال المشركون إن محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وكانوا يحسدونه قال: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثاً ويمشوا أربعاً..»(٣).

وفي رواية أخرى: « وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا..»(٤).

وفي رواية : « فتقول قريش: كأنهم الغزلان»(٥)

وهكذا كانت الحقيقة الدامغة بما قام به المسلمون من الرمل، أبلغُ رد يقضي على ما أشيع عن هزال المسلمين، وكان قول المشركين بعد ذلك هو الدليل على القضاء على الشائعة..

ومثال آخر على مواجهة الشائعات بالحقائق الدامغة ما حدث في غزوة أحد من إشاعة مقتل النبي ﷺ .. والأثر السيِّئ الذي تركته هذه الشائعة في المسلمين ، ثم رد

---

(١) الاضطباع : هو أن تدخل الرداء من تحت إبطك الأيمن فيبدوا منكبك الأيمن ويتغطى الأيسر وسمى بذلك : لإبداء الضبعين وهما العضدان ما تحت الإبط.

(٢) الرمل: سرعة المشي والهرولة.

(٣) رواه مسلم - باب استحباب الرمل والطواف والعمرة ج ٩ ص ١٠ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٤) المرجع السابق -الباب نفسه - والحديث رواه أيضاً الترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد (ارجع إلى جامع الأصول تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ج ٣/ ١٦٢).

(٥) رواية أبي داود رقم ١٨٨٦ في المناسك باب الرمل .

الرسول القائد ﷺ على إشاعة مقتله أن صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ويرد إليهم الثقة في أنفسهم.. وقد أتينا على ذكر هذه الحادثة في الفصل الثاني من هذا البحث.. بالإضافة إلى ما ذكرنا من مقاومة الحرب النفسية.. نجد أن الإسلام يوجه أبناءه دائماً إلى الطريق القويم لاستعادة قواهم المعنوية وخاصة بعد الأزمات والضغوط النفسية من قبل الأعداء وذلك على الأسس الآتية:

- سرعة الرجوع إلى أصول العقيدة والاعتصام بالكتاب والسنة.
- الاستعانة بالصبر والصلاة.

ومن الأمثلة على النقطة الأولى ما حدث بعد وفاة الرسول ﷺ فقد استغل المنافقون الموقف على الفور.. وأخذوا يشنون الحرب النفسية ضد المسلمين لزعزعة إيمانهم وإثارة الفتنة بينهم..

وقول عمر بن الخطاب في المسجد « إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران...»[1] يظهر هذه البلبلة في الموقف .. لولا أن خرج أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- وحسم الموقف بخطبته المشهورة التي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه: « أيها الناس، إنه ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٤٤] .

وهكذا زايل القلوب كل شك في أن محمداً قد مات.. ولما كان الغد من ذلك اليوم خطب عمر الناس فقال: « إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله، ولكني قد كنت أرى أن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٣٤.

رسول الله سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له»[(١)].

وهكذا يكون الاعتصام بالكتاب والسنة أقوى أسباب الوقاية من الضلال والانحراف. وأما النقطة الثانية وهي الاستعانة بالصبر والصلاة لإزالة الضغوط النفسية يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة ١٥٣-١٥٥] ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران ١٨٦]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة ٢١٤] .

والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا الباب.. نقتصر على حديث واحد منعاً للإطالة : يقول الرسول الكريم ﷺ واصفاً المؤمن: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[(٢)].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٣٤٠.

(٢) رواه مسلم (كتاب الزهد).